هدى خالد مباركة *

"الاستيطان الرعوي" شكل جديد من أشكال الاستيطان الاستعماري في منطقة الأغوار

المقدمة

في منطقة ما شمال الأغوار الفلسطينية، قام ثلاثة مستوطنين بإطلاق عشرات الأغنام والأبقار في الخلاء، وراحوا يرعونها في مشهد يكاد لا يختلف عن أساليب الراعي الفلسطيني. بعد بضعة أسابيع من الرعي، قام المستوطنون الثلاث بتسييج مساحات واسعة من الجبال والسهول، مدعين بأن الأرض أصبحت ملكية "لمن يستغلها".

تلقي هذه الورقة البحثية الضوء على ظاهرة "الاستيطان الرعوي"، باعتبارها ظاهرة جديدة من شأنها أن تساهم في توسيع فهمنا للتوسع الاستيطاني في الضفة الغربية، خاصة في منطقة الأغوار الفلسطينية.

مستوطن من تنظيم "شبيبة التلال" يرعى قطيعًا من الماشية في أرض رعوية في منطقة الأغوار الفلسطينية.

في العام ٢٠٢٠، طرحت الإدارة الأميركية ما يسمى بـ "صفقة القرن" التي سعت إلى ضم أجزاء واسعة من أراضي الضفة الغربية إلى إسرائيل، خصيصًا منطقة الأغوار الفلسطينية والمستوطنات، ومع تكثيف الاستيطان لأجل توسيع حدود الدولة العبرية، (جمال ٢٠١٢، ١٠٠)؛ وإعلان الصندوق القومي اليهودي عن شروعه باستهداف أراضٍ الضفة الغربية، جاء كل ذلك، متماشيًا مع المساعي الحثيثة للإدارة المدنية للمضي قدمًا في تسجيل أراضي الضفة الغربية (حبّاس ٢٠٢١)، وفي هذا السياق، يأتي مشروع "الاستيطان الرعوي" كحلقة مكملة وداعمة للجهود الاستعمارية في تغيير الوضعية القانونية للأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية.

تطرح ماهية الظاهرة التي نريد تحليلها في هذه الورقة تساؤلًا حول ظاهرة التوسع الاستيطاني في منطقة الأغوار الفلسطينية بشكل فردي عبر

* باحثة في مجال العلوم السياسية والدراسات الإسرائيلية

قطيع أغنام في خدمة التوسع الاستيطاني في محيط مستوطنة يتسهار المقامة على أراضي منطقة نابلس. (الصورة عن موقع: هكول هيهودي)

انتهاج شكل استيطاني جديد: لماذا تم استحداث استراتيجية الرعي المكثف على شاكلة "الاستيطان الرعوي" في السنوات القليلة الماضية؟ وما هي الأطراف الصهيونية الداعمة لهذا النوع من الاستيطان؟ كيف نفهم الفكر السياسي الصهيوني ضمن ثنائية المستعمِر والمستعمَر في ظل نموذج الاستيطان الرعوي؟ ستقوم الدراسة بالإجابة على هذه الأسئلة من خلال تقسيم الورقة إلى ثلاثة أقسام. أولًا، سيتم تقديم إطار تحليلي نظري يتعلق بثنائية المستعمِر الصهيوني / المُستعمَر الفلسطيني الأصلاني لفهم علاقة هذه الأطراف بالأرض في ظل استحداث نموذج الاستيطان الرعوي، في القسم الثاني سيتم وصف ماهية الاستيطان الرعوي من خلال الوقوف على أسلوب محاكاة نمط حياة الفلسطيني (الرعي جزء منها)، ومن خلال فهم العلاقة ما بين المستوطنين الشبان الذين يرتجلون هذا الأسلوب وما بين المنظمات الصهيونية التي ترعاهم. وفي القسم الثالث والأخير سيتم التعمق أكثر في الاستيطان الرعوي لرصد الأساليب الإجرائية العينية التي يتبعها المستوطنين في محاولتهم "إنجاح" الاستيطان الرعوي.

أولا: الإطار التحليلي النظري بشأن نموذج الاستيطان الرعوي ضمن ثنائية المُستعمِر والمُستعمَر

تؤكد جميع سياسات الاستيطان الصهيوني وأشكاله المختلفة على أن هدفه هو الاستيلاء على الأرض التي تشكل العنصر الأساس في العملية الاستيطانية، وذلك باستخدام وسائل وحيل عدة، من أجل إحلال مجموعة إثنية يهودية مكان السكان الأصليين في الأراضي الفلسطينية (منصور ٢٠١٤، ١٠).

وتواظب السياسة الاستيطانية على جهود الاستحواذ على هذا الثابت الذي لم يتغير في المشروع الصهيوني المتمثل في الاستيلاء على الأرض وخاصة منطقة الأغوار المراد ضمها للسيادة الإسرائيلية كجزء لا يتجزأ من حيزها الجغرافي والسياسي ولترسيم الحدودِ المستقبلية. لكن النموذج الاستيطاني المتبع اليوم تم استحداثه للسيطرة على الأرض دون التفكير مبدئيًا بضرورة إحلال مجموعة إثنية يهودية في الحيز المكاني عبر إقامة المستوطنات، وإنما باتباع نموذج الاستيطان الرعوي، بغية تحقيق أهداف استعمارية جديدة تتمثل في التأكيد على خطاب الأصلانية الذي يعتبر أساس الخطاب الاستعماري الاستيطاني، عبر خلق رابطة

أصلانيـــة للمســـتعمِر مـــع الأرض، بهـــدف تحويلـــه إلى صاحـــب حـــق في الأرض المســـتعمرة بطـــرق مبـــاشرة تتمثـــل في تقديـــم الحجـــج التـــي تبرهـــن أصلانيتـــه، وبطـــرق غـــير مبـــاشرة مـــن خـــلال التهجـــم عـــلى شـــخصية الأصلانـــي تمهيـــدًا لاقتلاعـــه؛ وذلـــك بغـــرض القضـــاء عـــلى العلاقـــة بـــين الســـكان الأصلانيـــين والأرض. (أبـــو عريـــش ٢٠١٨). والهـــدف هـــو محاولـــة المســـتعمِر أصلنـــة ذاتـــه عـــن طريـــق محـــاكاة الأصلانـــي باتبـــاع نمـــط حياتـــه نفســـه والتضييـــق عليـــه لتهجـــيره مـــن أرضـــه.

وعليـــه، يتجســـد نمـــوذج الاســـتيطان الرعـــوي الـــذي يقـــوده بشـــكل أســـاسي تنظيـــم "شـــبيبة التـــلال" في خلـــق علاقـــة مـــع الأرض المســـتعمرة عـــبر العـــودة إلى نمـــط الحيـــاة القديـــم القائـــم عـــلى العزلـــة والحيـــاة الأقـــرب إلى البـــداوة والترحـــال ورعـــي الأغنـــام وفلاحـــة الأرض مـــع التزهـــد والتقشـــف في وســـائل العيـــش (منصـــور٢٠٢١). وربمـــا يعـــود ذلـــك لعبـــارة "العـــودة إلى التاريـــخ" وعلاقـــة ذلـــك بالمـــشروع الصهيونـــي و"العـــودة إلى الأرض" و"العـــودة إلى الأصـــل"، بمعنـــى العـــودة إلى مـــا تـــم تصـــوره كجـــذر الوجـــود القومـــي والثقـــافي اليهـــودي الأصيـــل القديـــم (راز كركوتســـكين ٢٠١٤، ٧٥). إضافـــة إلى التمســـك بالأيديولوجيـــا الدينيـــة المتشـــددة والعـــودة إلى أحـــكام التـــوراة التـــي تحـــث عـــلى حرفـــة الرعـــي، والتوجـــه إلى البريـــة باعتبارهـــا حيـــز منحـــه اللـــه لليهـــود وحدهـــم؛ وبنـــاء عليـــه يســـير "شـــبيبة التـــلال" في مشروعهـــم التوســـعي الاســـتيطاني التأصيـــلي.

يؤكـــد هـــذا الســـياق عـــلى هـــدف السياســـات الاســـتيطانية التـــي تتبعهـــا الحكومـــة الإسرائيليـــة وســـلطاتها ومجالـــس المســـتوطنين وجماعاتهـــا في الأغـــوار الفلســـطينية، والمتجســـد في الحصـــول عـــلى أرض خاليـــة مـــن ســـكانها الفلســـطينيين الأصلانيـــين. انطلاقًـــا مـــن رفضهـــم لفكـــرة وجـــود أصلانـــي في المـــكان واعتبـــار أنفســـهم أصحـــاب الحـــق عـــلى الأرض حتـــى وإن كان هنـــاك انقطـــاع تاريخـــي لوجودهـــم عليهـــا، حيـــث يعتـــبرون أن تاريـــخ اليهـــود قـــد بلـــغ نهايتـــه الزمنيـــة مـــع خـــراب الهيـــكل الثانـــي! (راز كركوتســـكين ٢٠١٤، ٧٧)

تـــدل السياســـة الاســـتيطانية الرعويـــة في الأغـــوار الفلســـطينية عـــلى أن إسرائيـــل تســـعى لتكـــون مجتمعًـــا أصلانيًـــا قائمًـــا ومنفـــردًا بذاتـــه دون أن تجـــد حـــلًا للعلاقـــة الثنائيـــة المعقـــدة بـــين المســـتوطن المهاجـــر والفلســـطيني الأصلانـــي. وتؤكـــد هـــذه السياســـة الاســـتيطانية عـــلى المقولـــة الأساســـية في الصهيونيـــة التـــي تقـــوم عـــلى فكـــرة نفـــي المنفـــى؛ أي أن المنفـــى يحـــضر بصفتـــه صـــورة دينيـــة وغـــير طبيعيـــة ومؤقتـــة في حيـــاة اليهـــودي. ويتمثـــل الوجـــه المـــادي لهـــذه الفكـــرة في إزاحـــة أو طـــرد الفلســـطينيين مـــن فلســـطين الذيـــن يشـــكلون حاجـــزًا بـــين اليهـــود وأرض إسرائيـــل ومحاولتهـــم لخلـــق وطـــن قومـــي فيـــه أغلبيـــة يهوديـــة. (زريـــق ٢٠٢٠).

وبالتـــالي، تشـــكّل محاولـــة المســـتوطن أن يظهـــر بشـــكل راعٍ، ومـــربٍ للثـــروة الحيوانيـــة، ومتجـــول بقطعـــان الماشـــية في مرتفعـــات الجبـــال، وتهيئـــة كل الوســـائل اللازمـــة لتطويـــر نمـــط الاســـتيطان الرعـــوي وتطويـــع الأرض، هـــي ممارســـات تؤكـــد عـــلى توجـــه المستوطن/المســـتعمِر لفـــرض نفســـه عـــلى أرض الواقـــع كأصلانـــي، يمـــارس أســـاليب مختلفـــة مـــن الضغـــط والتضييـــق عـــلى الفلســـطيني الأصلانـــي لدفعـــه لـــترك المـــكان وإزالـــة أنمـــاط إنتاجـــه الاقتصاديـــة- الرعويـــة، واقتـــلاع علاقاتـــه الاجتماعيـــة بالمـــكان، أي إقصائـــه بالقـــوة والعنـــف وتحويلـــه إلى شـــخص غريـــب عـــن بيئتـــه.

أكـــد رئيـــس بلديـــة طوبـــاس خالـــد عبـــد الـــرازق عـــلى ثنائيـــة المســـتوطن/الأصلاني في مقابلـــة أجريـــت معـــه يـــوم ٢حزيـــران ٢٠٢١ بالقـــول: "إن السياســـات التعســـفية التـــي تمارســـها قطعـــان المســـتوطنين ضـــد أهالينـــا في منطقـــة الأغـــوار الشـــمالية قـــد تـــؤدي عـــلى المـــدى البعيـــد إلى أصلنـــة المســـتوطن، وذلـــك لعـــدم قـــدرة الفلســـطيني الأصلانـــي عـــلى البقـــاء والصمـــود في ظـــل التضييـــق المســـتمر والظـــروف القاهـــرة التـــي تدفعـــه لـــترك أرضـــه وهجـــرة المـــكان."

مـــن الممكـــن أن يصبـــح المســـتوطن أصلانيًـــا طالمـــا بقـــي المســـتوطن يســـعى وراء تحقيـــق هدفـــه الاســـتيطاني الاســـتعماري وغايتـــه في جعلـــه متفوقًـــا عـــلى الآخـــر ومنكـــرًا لـــه مســـتحوذًا عـــلى أرضـــه عـــبر إتبـــاع السياســـات الإجرائيـــة الإقصائيـــة العنصريـــة، وضرب مقومـــات الحيـــاة الأساســـية للفلســـطيني الأصلانـــي المتمثلـــة في الأرض ومواردهـــا الطبيعيـــة. وبذلـــك نؤكـــد عـــلى طـــرح هرتســـل في كتـــاب "دولـــة اليهـــود" الـــذي اســـتخدم فيـــه مصطلحـــات أشـــار بها إلى فكـــرة تأصيـــل المســـتعمِر الغريـــب، وتغريـــب المســـتعمَر الأصلانـــي. (هرتســـل ١٩٩٧،٧٧).

ثانيًا: ماهية الاستيطان الرعوي

الاســـتيطان الرعـــوي هـــو أســـلوب مـــن أســـاليب التوســـع الاســـتيطاني الـــذي يأتـــي مـــن الأســـفل. يمكـــن الادعـــاء بـــأن معظـــم أســـاليب التوســـع الاســـتيطاني في الضفـــة الغربيـــة كانـــت تأتـــي مـــن الأعـــلى (top-down) ومدفوعـــة بتخطيـــط مركـــزي تقوم بـــه الدولـــة، وتحث عليـــه المنظمـــات الصهيونية

والمجالس الإقليمية للمستوطنات. أما الاستيطان الرعوي فهو نموذج مستحدث يقوم به المستوطنون أنفسهم (bottom-up) في محاولة منهم لفرض حقائق جديدة على الأرض. وبحسب وصف الباحث في علم الاجتماع، مايكل مان، فإن الجماعات والتنظيمات الاستيطانية تعتبر قوة بنيوية تحتية تنتج أفكارها بشكل فردي، ولكن تستمد قوتها من ارتباطها مع الشبكات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في المجتمع بأكمله. (جمال ٢٠١٢، ٨٨).

في مقابلة، أجريت في ٢٠ آذار ٢٠٢١، مع عارف دراغمة، المسؤول عن ملف الاستيطان والانتهاكات الإسرائيلية في منطقة الأغوار الفلسطينية لدى منظمة بيتسيلم، حول النموذج الجديد الذي يتبعه تنظيم "شبيبة التلال" بصفته مراقبًا لكل تحركات المستوطنين في منطقة الأغوار الفلسطينية، قال: "يقوم المستوطنون بتربية الماشية (تحديدًا الأغنام والأبقار) ورعيها في جبال الأغوار الفلسطينية وسهولها. في بعض الحالات تعود ملكية هذه المساحات إلى المواطنين الفلسطينيين لكنها في معظمها تكون بعيدة عن أماكن السكن، أو أرضي بور. ويبدأ المستوطنون بوضع "كرفان" (مبنى غير ثابت) واحد وسط مساحة مكونة من عدة دونمات. ويسكن "الكرفان" عدد قليل من المستوطنين الشبان الذين يجلبون معهم في البداية ما يقارب خمسين رأسًا من الماشية، ثم يتحول هذا الكرفان إلى بؤرة استيطانية* تسكنها بعض الأسر الصغيرة، التي تعمل بدورها على إنشاء بركسات لضم أعداد أكبر من الماشية، وفي ما بعد قد تتحول البؤرة إلى مستوطنة رعوية ويتم شرعنتها". يأتي هذا التوسع والتعدي على الأملاك الخاصة للفلسطينيين متماشيًا مع أسلوب التوسع من الأسفل بداية، ثم التوسع من أعلى عبر الدعم والتغطية والتشريع.

يتم استغلال المساحات الشاسعة المحيطة بالمرتفعات الجبلية وفي سهول الأغوار الفلسطينية بالرعي فيها ليس تنظيرًا لمحاكاة الأصلاني الفلسطيني في المنطقة فقط، وإنما بالعودة إلى التاريخ القديم حيث أنبياء بني إسرائيل الذين سكنوا أرض فلسطين ومارسوا حرفة الرعي فيها، مما دفع المستوطنين المتدينين من فئة الشباب العودة إلى انتهاج أسلوب نمط الحياة القديم نفسه تعلقًا بالماضي وتأصيله، وتعلقًا بما جاء في الكتاب المقدس من آيات تحث على مهنة الرعي التي اتبعها الأنبياء والصالحون والتي تحمل معاني عدة ومنها ما ورد في المزمور(٢٣: ١-٤) "١- يهوه راعيَّ، فلا يعوزني شيءٌ. ٢- في مزارع خصيبة يربضني إلى مياه الراحة يقودني ..". وهناك في السفر المقدس المزمور إشارة إلى أن الرب نفسه "يهوه" هو راعٍ ولن يترك بني إسرائيل وحدهم وإنما بقدرته يحميهم من الأعداء ويوجههم للمزارع الخصبة وللمناطق التي تتوفر فيها المياه الوفيرة.

يتجلى هذا الفكر الصهيوني- التوراتي في غرض العودة إلى الأرض بادعاء الدعوة من الرب، عبر تضييق المستعمِر الصهيوني الخناق على الفلسطيني الأصلاني والحد من قدرته على الاستفادة من هذه المناطق الشاسعة، وتطويع نمط الاستيطان بما يتلاءم مع طبيعة الأرض الصالحة للنموذج الرعوي.

تؤكد المشادة الكلامية التي جمعت "دراغمة" مع أحد المستوطنين "الرعويين" بتاريخ ١٥آذار ٢٠٢١ على توجه تنظيم "شبيبة التلال" لتبني الفكر الصهيوني- التوراتي، إذ لخص الأخير منطق الاستيطان الرعوي بقوله: " أين تصل أغنامي وأبقاري هو لي وسأقوم بتسييج هذه المساحة من الأرض التي تعتبر ملكي".

ويختص تنظيم "شبيبة التلال" في هذا النوع من الاستيطان الرعوي، كغيره من التنظيمات والحركات الاستيطانية التي نشطت بأشكال أخرى في فترات سابقة بهدف تعزيز النشاط الاستيطاني اليهودي التوسعي في الضفة الغربية وقطاع غزة، ومنها الحركة الدينية- القومية "غوش إيمونيم" (١٩٧٤- ١٩٨٨) (مدار، موسوعة المصطلحات).

تعرف شبيبة التلال على أنها مجموعات شبابية من المستوطنين/ المستوطِنات ينتظمون على شكل خلايا صغيرة، ولا تتجاوز أعمارهم في الغالب الـ ٢٥ عاما، يجمعون ما بين الأيديولوجيا الدينية المتزمتة (الحريديم) والفكر الصهيوني القومي (لؤومانوت) ويطلق عليهم القاموس الصهيوني لفظة "الحردليم" (بالعبرية- تجمع ما بين الحريدي والصهيوني القومي). ويتبع شبيبة التلال أسلوب حياة تقشفيًا من حيث اللباس، نمط الحياة، الطعام، ويكرسون جزءًا كبيرًا من حياتهم في عناق الطبيعة والتجول الرومانسي في جبال وسهول الضفة. لكن الأهم، هو أنهم ينتمون إلى المشروع الاستيطاني الأيديولوجي بنسخته الأكثر تطرفًا والتي تحيل مشروع التوسع الاستيطاني إلى أحكام التوراة.

وبالتركيز على مشروع الاستيطان الرعوي، ثمة مسألتان لا بد من الوقوف عندهما لغرض هذا البحث: ١) أسلوب محاكاة نمط الحياة الفلسطيني (الرعي) من قبل المستوطن؛ ٢) العلاقة التي تجمع هذا الأسلوب من الاستيطان - الاستيطان من الأسفل (bottom-up) مع مؤسسات الدولة، والمنظمات الصهيونية المتنوعة التي تمارس التوسع الاستيطاني بشكل ممنهج من الأعلى (top-down).

فشبيبة التلال يستلهمون نمط حياتهم من أسلوب حياة اليهود القدماء الذي ارتدوا "الصندل الجلدي" وأقاموا شريعة الله _حسب التوراة_ من خلال إعادة إحياء الجغرافيا باعتبارها حيزًا منحه الله لليهود وحدهم (Lindqvist 2020, 26).

شبيبة التلال عدائيون في التعامل مع الفلسطينيين، ويتلقون تدريبات عسكرية وأمنية مكثفة، ويتدربون على الرصد والمتابعة ويتعلمون اللغة العربية؛ ويدعون أن هذه الأراضي هي أراضي الأجداد ويرفعون شعار "إما القتل وإما الطرد" ويحظون بدعم دولة الاحتلال وحمايتها. (جاد الله ٢٠٢٠).

وبالتركيز على مشروع الاستيطان الرعوي، ثمة مسألتان لا بد من الوقوف عندهما لغرض هذا البحث: ١) أسلوب محاكاة نمط الحياة الفلسطيني (الرعي) من قبل المستوطن؛ ٢) العلاقة التي تجمع هذا الأسلوب من الاستيطان – الاستيطان من الأسفل (bottom-up) مع مؤسسات الدولة، والمنظمات الصهيونية المتنوعة التي تمارس التوسع الاستيطاني بشكل ممنهج من الأعلى (top-down).

تستهدف "شبيبة التلال" في منطقة الأغوار الفلسطينية المرتفعات الجبلية والهضاب والمساحات الشاسعة بهدف إنشاء البؤر الاستيطانية التي ترتكز على النموذج المستحدث من الاستيطان والقائم على الأساس الرعوي الذي تم انتهاجه لاستغلال هذه الأراضي وعدم تركها فارغه كونها تعتبر غير ملائمة للنوع القائم على الاستيطان الزراعي، ورغبة من المستوطنين المتدينين في تقليد أنبياء بني إسرائيل والآباء الأوائل من اليهود الذين سكنوا الأرض المقدسة؛ إضافة إلى محاكاة نمط حياة الراعي الفلسطيني الأصلاني، والذي مارس هذا النمط من الحياة منذ زمن طويل وبعيد باعتباره فلاحًا أو بدويًا فلسطينيًا أصلانيًا، وعلى معرفة في كيفية استغلاله للحيز المكاني وتطوير سبل البقاء والعيش باتباع أسلوب الزراعة والرعي كأسلوب حياة.

بُنيت خلال السنوات الخمس الأخيرة ست بؤر استيطانية رعوية في مناطق الأغوار المختلفة، أقيمت أربع منها في منطقة الأغوار الشمالية في كل من: خلة حمد وخربة سويدة وعين الحلوة ومنطقة المزوكح. على سبيل المثال، واحدة من هذه البؤر الاستيطانية الجديدة أقيمت في نهاية العام ٢٠١٦ على قسيمة أرض بملكية فلسطينية خاصة تبعد بضع مئات الأمتار عن بؤرة "جفعات سلعيت"_ التي أقيمت عام ٢٠٠١ وتمت شرعنتها كبؤرة استيطانية رسمية في صيف ٢٠١٨_ وتمتدّ مساحتها على نحو خمسين دونمًا أقيمت عليها بركسات للسكن وبضعة خيام وحظيرة للأغنام والأبقار، وتضم صهريج ماء كبيرًا، وتراكتور. يقدّر ناشطون إسرائيليون أنّه يسكن اليوم في البؤرة نحو عشرة شبان إضافة إلى عائلتين صغيرتين التحقت بهم مؤخرًا. ومن موقعها على رأس التلّة تشرف البؤرة على وادي خلّة حمد التابعة لقرية الحمة وتبعد نحو كيلو متر عن خربة الفارسية جنوبًاً، ويقع في الحيز المكاني نفسه أحد المضارب الفلسطينية التي تشكّل تجمّع الرّعاة القديم لخربة تلّ الحِمّة الذي يضمّ قرابة مائتي نسمة. وتحيط بالبؤرة آلاف الدونمات من المراعي التابعة لهذا التجمّع، لتجمّع الفارسيّة الذي يعدّ نحو ٣٠٠ نسمة في الشتاء و١٠٠ نسمة في الصيف. (بتسيلم ٢٠١٨).

أُنشئت منذ بداية العام ٢٠٢١ بؤرتان استيطانيتان رعويتان في منطقة الأغوار الشمالية، الأولى منهما في منطقة أبو القندول جنوب خربة عين حلوة وتضم عددًا من المستوطنين يقيمون في كرفانات متنقلة، وكان قد تم الشروع بوضع خيم ومنشآت وبركسات من قبل المستوطنين مع نهاية العام الماضي. والثانية في جنوب عين شبلة وعلى بعد كيلومتر إلى الغرب من مستوطنة "الحمرا". ويبدو أن المستوطنين في هذه البؤر يعملون كخدمة تطوعية لصالح المشروع الاستيطاني وأغلبهم من مجموعة "شبيبة التلال". حسب ما أفاد عارف يوم ٤ نيسان ٢٠٢١.

في الضفة الغربية هناك أكثر من ٧ آلاف وحدة استيطانية مقامة على أراض خاصة لمواطنين فلسطينيين، تبلغ مساحتها أكثر من ثمانية آلاف دونم، جزء منها تمت مصادرته من خلال أمر عسكري، والجزء الآخر من خلال النشاط الاستيطاني لشعبة الاستيطان ومجلس إقليمي يهودا والسامرة (الضفة الغربية)، يضاف إليها طبعًا الأراضي الخاصة الواقعة داخل المستوطنات ذاتها التي بنيت على ما يسمى أراضي دولة. (النابلسي٢٠١٧، ٥٣). وأكد عارف على أن جزءًا كبيرًا من هذه الوحدات الاستيطانية أقيم في منطقة الأغوار الفلسطينية، فاليوم هناك ما يقارب ٣٦ مستوطنة وبؤرة استيطانية جديدة، و٢٢ معسكرًا لتدريب الجيش الإسرائيلي.

وفي كل مرة، يحظى المستوطنون الذين ينتهجون أنماط استيطان جديدة بعلاقة جيدة مع عدد من مؤسسات الدولة المختلفة التي تشجع على الاستيطان وتدعو إليه. فعلى سبيل المثال، تخصص الحكومة الإسرائيلية مبالغ طائلة من ميزانيتها لصالح المشروع الاستيطاني من أجل تطوير المستوطنات وخلق واقع جديد على الأرض خاصة مع توجه الأنظار الإسرائيلية وتركزها على منطقة الأغوار الفلسطينية منذ العام ١٩٦٧، وبالذات تزامنًا مع صفقة القرن التي عقدت في عهد الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب العام الماضي، حيث وجدت الحكومة الإسرائيلية الفرصة الذهبية لتحقيق حلم "دولة إسرائيل الكبرى"، بناء على موقف الولايات المتحدة التي اعتبرت الاستيطان مشروعًا لا يشكل عائقا أمام السلام. (جمال ٢٠١٢، ٩٤).

يحظى المستوطنون بمعاملة خاصة من قبل الحكومة الإسرائيلية تكريمًا لعملهم في تطوير المشروع الاستيطاني، فخلال حكومة إيهود باراك لم يخفِ باراك تعاطفه الكبير والواسع مع "شبيبة التلال" الذين انتهجوا نهجًا جديدًا من الاستيطان والسيطرة على الأراضي في الضفة الغربية بهدف استكمال خطة شارون الكبرى، فعلى الرغم من كون نشاطهم الاستيطاني غير قانوني بالعرف القانوني الإسرائيلي، إلا أنهم حظوا بالتأييد وتم التعامل معهم بكفوف حريرية (منصور ٢٠١٤، ٤١).

ويبرز في هذا السياق دور الأذرع البيروقراطية والعسكرية لحكومة الاحتلال كالجيش الذي أصبح وسيلة في يد الأيديولوجية الاستيطانية، عبر مساعدتهم في تنفيذ مساعيهم الاستيطانية بالقوة وتسريع عملية الضم والسيادة على الأرض الفلسطينية بحكم التفوق المادي، ويتم تزويد تنظيم "شبيبة التلال" بالسلاح والتدريبات والحماية.

أما المجالس الإقليمية للمستوطنات التي تعمل في أراضي الضفة الغربية، فتغطي تكاليف الاستيطان المختلفة التي تساعد في تثبيت المستوطنين وتعمل على تهيئة الظروف الملائمة لهم، كشق الطرق، وإقامة بنى تحتية وتنفيذ أعمال تخطيط وتطوير في المستوطنات.

يدير المجلس الاستيطاني الإقليمي" بكعوت هيردن" منطقة الأغوار الفلسطينية ويستثمر أموالًا طائلة من موازنة الحكومة الإسرائيلية لصالح المستوطنين بهدف تعزيز الاستيطان هناك، وبدعم من قيادة الجيش والإدارة المدنية (هي هيئة عسكرية تنسق الأنشطة الحكومية الإسرائيلية في أراضي الضفة الغربية المحتلة) ووزارة الإسكان ودائرة أراضي إسرائيل. (مدار ٢٠١٦).

كما أن هناك عددًا من الجمعيات الاستيطانية التي تعزز النشاط الاستيطاني، منها "ريجافيم"، "ناحالا" و"أمناه" التي تعتبر الوكيلة لتنفيذ مشاريع "شعبة الاستيطان" في "المنظمة الصهيونية العالمية"، وكذلك تعتبر الذراع الاستيطانية لحركة غوش إيمونيم. ويلقى النشاط الاستعماري الذي قامت به "شعبة الاستيطان" بشكل رئيس والأذرع المختلفة، الدعم من الحكومة الاسرائيلية عبر قيامها بـ "عدم تطبيق القانون" في الأراضي المحتلة ١٩٦٧، بعد تحويل الأراضي إلى شعبة الاستيطان وترك المجال لرئاسة الشعبة ومجلس إقليمي يهودا والسامرة يقومون بعملهم؛ أي الاستيطان دون ضوابط. (النابلسي ٢٠١٧، ٥٢-٥٣).

كما تدعم المجالس الإقليمية للمستوطنات حركة الاستيطان- أمناه، من خلال تمويلها، فبحسب ما جاء في هآرتس: قام المجلس الاستيطاني الإقليمي

غـوش عتصيـون بتقديـم مسـاندة للبـؤر الاسـتيطانية غـير القانونيـة المنشـأة في أراضي الضفـة الغربيـة بـين عامـيّ ٢٠١٩-٢٠١٨، وأكـد المجلـس أنـه حـول ١,٦مليـون شـيكل إلى حركـة "أمنـاه" تـم تخصيـص أكثـر مـن ٩٠٠ ألـف شـيكل منهـا لتطويـر البـؤر الاسـتيطانية الرعويـة، وتـم تحويـل ٢٠٪ مـن المبلـغ لمنسـق نمـوذج الاسـتيطان الرعـوي في حركـة "أمنـاه".

وأفـاد عـارف يـوم٤ نيسـان ٢٠٢١ بـأن حركـة الاسـتيطان تعمـل في الضفـة الغربيـة بشـكل مُنظـم، وتسـعى لتقديـم خدماتهـا عـبر إقامـة ورشـات عمـل تنمويـة قوميـة خاصـة ببنـاء الـذات الوطنيـة لدى الشـبيبة اليهوديـة لحثهـم عـلى التعلـق بـالأرض داخـل الضفـة الغربيـة، ويتمظهـر ذلـك في الزيـارات السـياحية المتواصلـة التـي تنظمهـا الحركـة بجلـب شـبيبة المسـتوطنين إلى منطقـة الأغـوار الفلسـطينية.

وفي مـا يتعلـق بعمـل المؤسسـات الصهيونيـة الكـبرى، فقـد اتخـذ مجلـس إدارة "الكـيرن كييمـت ليسرائيـل" (الصنـدوق القومـي اليهـودي) _الـذي يعتـبر إحـدى المؤسسـات الماليـة للمنظمـة الصهيونيـة_ مؤخـرًا قـرارًا جديـدًا يقـضي بالسـماح للصنـدوق "بتحريـر" أراضي الضفـة الغربيـة مـن الفلسـطينيين عـبر شرائهـا بشـكل علنـي ومبـاشر، بمعنـى الاسـتيلاء عـلى أراض يملكهـا الفلسـطينيون حاليًـا وتحويلهـا لملكيـة اليهـود الأبديـة. وفي تاريـخ ١٤ نيسـان ٢٠٢١ وافـق رئيـس المحكمـة المركزيـة في بـئر السـبع "يـوسي إيلـون " عـلى شراء المجلـس أراضي خاصـة في مناطـق "ج" وغيرهـا. جـاء ذلـك بشـكل متوافـق مـع صعـود اليمـين المتطـرف في السـنوات الأخـيرة بشـكل حـاد، والإعـلان عـن خطـة ترامـب التـي تعـزز التوجـه الاسـتيطاني الصهيونـي والسـيطرة الأمنيـة الإسرائيليـة عـلى منطقـة الأغـوار الفلسـطينية. (حبّـاس ٢٠٢١).

كذلـك الأمـر بالنسـبة لـدور الإدارة المدنيـة، فقد قـدم عضو الكنيسـت "ميكـي زوهـر" مـن كتلـة الليكـود، مـشروع قانون يقـضي بإلغـاء الإدارة المدنيـة في الضفـة الغربيـة المحتلـة ونقـل صلاحياتهـا للحكومـة الإسرائيليـة في ١٧ أيـار ٢٠٢١، وهـذا تمـت المطالبـة بـه مـن قبـل، حينمـا تدخـل وزيـر الدفـاع الإسرائيـلي آنـذاك نفتـالي بينـت ودعـا إلى: "القيـام بإحـداث تغيـيرات في مجـال عمـل الإدارة المدنيـة في أراضي الضفـة الغربيـة المحتلـة، عـبر الأمـر بنقـل صلاحيـة متابعـة تسـجيل الأراضي داخـل المسـتوطنات في الضفـة الغربيـة مـن الإدارة المدنيـة إلى دائـرة "الطابـو" في وزارة العـدل الإسرائيليـة بشـكل مبـاشر، لتعزيـز سـيطرة إسرائيـل عـلى المنطقـة "ج" في الضفـة الغربيـة المحتلـة. بحسـب مـا أفـادت صحيفـة "إسرائيـل اليـوم" بتاريـخ ٢٧ كانـون الأول ٢٠١٩.

صحيـح أنّ دولـة الاحتـلال تـصرّح أنّ وجـود البـؤر الاسـتيطانية في المنطقـة "غـير قانونـي"، وأنّ الأمـر أتـى "بمبـادرة خاصّـة" مـن المسـتوطنين؛ لكـنّ امتناعهـا عـن اتّخـاذ أيّ إجـراءات تغـيّر هـذا الواقـع يُظهـر أنّ تصريحاتهـا تلـك كلام فـارغ. رفْـض الدولـة إخـلاء هـذه البـؤر ومسـتوطنيها ورفضهـا منـع الهجمـات والاعتـداءات التـي أصبحـت روتينًـا جاريًـا وعـدم محاكمـة المجرمـين _ يـدلّ عـلى أنّ الدولـة تسـتخدم سـلوك المسـتوطنين الإجراميّ لأجـل تثبيـت سـيطرتها عـلى المنطقـة، وتتنصّـل منـه رسـميًا ببعـض تصريحـات خاويـة. عـدم مسـاءلة مرتكبـي هـذه الممارسـات تكمّـل عمليّـة النهـب والسـلب الرسـمية التـي تقـوم بهـا إسرائيـل في هـذه المنطقـة_ مثلمـا في مناطـق أخـرى مـن الضفـة الغربيـة_ وتلعـب دورًا مركزيًّـا في تطبيـق سياسـة حكومـة إسرائيـل التـي تسـعى لتحقيـق السـيطرة مـن أسـفل عـبر إعطـاء المسـتوطنين الصلاحيـة الكاملـة للتـصرف بغيـة تنميـة المـشروع الاسـتيطاني بوسـائل يصعـب عليهـا اللجـوء إليهـا. (بتسـيلم ٢٠١٨).

تؤكـد هـذه الشـبكة المعقـدة مـن العلاقـة بـين المسـتوطنين والأطـراف الصهيونيـة والحكومـة الإسرائيليـة وأجهزتهـا المتعـددة الداعمـة لهـم عـلى العمليـة التكامليـة في مـا بينهـم، وتظهـر اعتمـاد دولـة الاحتـلال عـلى المسـتوطنين كـذراع طويلـة لهـا في منطقـة الأغـوار، ويظهـر أيضـا أن مبـادرات المسـتوطنين وإن كانـت فرديـة فهـي مدعومـة بشـكل كامـل مـن عـلى المسـتويين المـادي مـن خـلال التمويـل وتقديـم الخدمـات الأساسـية لأي بـؤرة جديـدة تُقـام، والمعنـوي بالحمايـة والتغطيـة والتأييـد.

ثالثًا: الأساليب الإجرائية العينية التي يتبعها المستوطنون في محاولتهم لـ "إنجاح" الاستيطان الرعوي

تمتـاز منطقـة الأغـوار بعوامـل اسـتراتيجية عـدة، جعلـت منهـا منطقـة جاذبـة للاسـتيطان والتوسـع وتنميـة المشـاريع الاقتصاديـة الزراعيـة والرعويـة. تتجـه أنظـار الحركـة الاسـتيطانية اليـوم إلى المرتفعـات الجبليـة، حيـث مسـاحات الأراضي الشاسـعة التـي يصعـب اسـتصلاحها زراعيًـا، وتصنف عـلى أنهـا أراض رعويـة، وتـم بغـرض فـرض السـيطرة عليهـا

التوجه إلى النموذج الأمثل للاستفادة منها عن طريق تربية الماشية ورعيها في الدونمات الممتدة الواسعة، حيث المناخ شبه الجاف والأمطار التي تقل عن منسوب ٢٥٠ ملميتر، وتوفر المزروعات الملائمة للماشية كالشعير والقمح والذرة. (سلامة ٢٠١٧، ٦٦).

مع بروز هذا النوع من الاستيطان القائم على أساس الرعي في السنوات الأخيرة، تعرض سكان الأغوار لعدد من المضايقات غير المحتملة من أجل تهجيرهم ودفعهم لترك أراضيهم رمز هويتهم الوطنية ومصدر رزقهم وبقائهم بغرض الاستحواذ عليها.

يعتمد الاستيطان الرعوي على تربية الثروة الحيوانية، ويختلف عن النماذج الاستيطانية الأخرى المُتبعة على الأرض المحتلة، وذلك عبر توظيف الثروة الحيوانية الطبيعية لخدمة المشروع الاستيطاني، على الرغم من أنها جميعها تهدف بالأساس إلى التوسع والسيطرة على أكبر قدر ممكن من الأرض لضمها إلى السيادة الإسرائيلية بشكل رسمي، والسعي لإثبات ملكيتها بطرق عدة منها القانوني عبر سن القوانين وتشريعها، والتاريخي من خلال العودة إلى الماضي، والثقافي عبر محاكاة الفلسطيني الأصلاني.

يعاني الفلسطينيون الأصلانيون في منطقة الأغوار من آليات التهجير القسري التي تنتهجها دولة الاحتلال عبر إتباع سياسات ممنهجة، وتبني قوانين عنصرية، واستخدام العنف والقمع لمصادرة الأراضي والمعدات الزراعية والاستيلاء عليها، وتقييد حركة الأفراد، وحظر البناء، وتدمير المنشآت والبيوت، ومنع التطوير، وإجراء مناورات عسكرية بالذخيرة الحية وغيرها، تدفع الأصلانيّين إلى ترك أراضيهم ومغادرة المكان. (سلامة ٢٠١٧، ٦٤).

يفرض المستوطنون سيطرتهم على مساحات شاسعة من أراضي الفلسطينيين المحيطة بالمستوطنات، وتحيط هذه الأراضي بتجمعات الفلسطينيين السكانية، وفيها يقومون برعي قطعان ماشيتهم منذ عشرات السنين، إلا أن السياسة الاستيطانية قائمة على تطويق التجمعات السكانية عبر إنشاء كتل متراصة من المستوطنات والبؤر الاستيطانية غير الشرعية ذات الطابع الرعوي، وذلك لقطع أواصر الوحدة الفلسطينية المادية على الحيز المكاني ولمنع التواصل الفلسطيني ولبعثرة التجمعات الفلسطينية، فيقوم المستوطنون برعي قطعانهم في جميع المناطق المحيطة ببؤرهم الجديدة، ويفرضون بالقوة بوسائل عدة، من أهمها حماية قوات الأمن لهم وأحيانًا مشاركتهم في الاعتداءات، إضافة إلى العنف المتأصل في تصرفاتهم وهجماتهم المتزايدة على الرعاة الفلسطينيين في مناطق الرعي، ويتم ذلك عبر الرشق بالحجارة والتخويف والتصادم المباشر وحمل العصيّ والأدوات الحادة وتخريب الممتلكات وسرقتها، من أجل الترهيب وبث الخوف في نفوس الرعاة الفلسطينيين وكل من يخرج معهم من أجل الرعي ولمنعهم من الوصول إلى أراضيهم، دون أن يكون لهم أي رادع يمنع هذه الأعمال الإجرامية ذات الطابع العنيف.

كما يعاني رعاة الأغنام الأصلانيّون في منطقة الأغوار الفلسطينية من جراء تصاعد وتيرة اعتداءات المستوطنين عليهم وحدّتها، والتي تتخذ أشكالًا عديدة بدءًا بالتهديد والملاحقة والاعتداء الجسدي أو الاحتجاز والاعتقال بذرائع مختلفة، مرورًا بمداهمة قطعانهم بالتراكتورات بهدف تشتيتها وصولًا إلى دهس الماشية أو سرقتها أو وضع مواد سامة لها في الأراضي الرعوية.

برز هذا الشكل من الاعتداءات في الفترة الأخيرة من القرن الماضي بغرض التضييق على الرعاة الفلسطينيين، فعلى سبيل المثال، في أواسط الثمانينيات تقريبًا كثف الإسرائيليون من حملاتهم ضد المزارعين والبدو والرعاة بصورة متلاحقة، حيث اعتاد جنود الاحتلال القيام بتمرينات ومناورات عسكرية بالذخيرة الحية، الأمر الذي يستدعي تفريغ المنطقة من الإنسان والحيوان من وجهة النظر الإسرائيلية. فكان يتم إطلاق النار دون تردد على الرعاة والمواشي، وكان يتم مصادرة وتخريب المشارب والأعلاف، وكذلك مصادرة قطعان الماشية، وفي كل مرة كان الأمر يتطلب دفع مبلغ ما بين ٥-١٠ دنانير على الرأس الواحد عند استردادها. (الرزي ١٩٩٧، ٣٥).

كذلك تعرض الرعاة إلى الموت بسبب مخلفات الجيش من الذخيرة كما حصل مع الطفل "لافي رافع دراغمة" (١٤عامًا) من طوباس، حيث قتل بتاريخ ١٩ كانون الثاني ١٩٩٧جراء انفجار لغم في منطقة وادي مالح بينما كان يقوم برعي أغنام أسرته، وقتل جراء الحادث أكثر من ١٥ رأس ماشية. (الرزي ١٩٩٧، ١٦).

وعاد هذا الشكل من المضايقات الموجهة ضد الرعاة بشكل خاص في السنوات العشر الأخيرة بشكل جدي ومتصاعد وبشكل شبه يومي بغرض الاستحواذ على أكبر مساحة ممكنة من الأراضي بأقل التكاليف المادية، وعبر استحداث نموذج الاستيطان الرعوي، لما

لـه مـن منافـع جمـة تخـدم أطمـاع المـشروع الصهيونـي. فبحسـب مـا أفـاده الأمـين العـام للجمعيـة الاسـتيطانية "أمنـاه" "زئيـف": "إن المـزارع الرعويـة التـي تسـكنها خليـة صغـيرة مـن شـبيبة التـلال تبـدو أكثـر كفـاءًة مـن البنـاء في المسـتعمرات عـلى مسـاحة محـدودة مـن الأرض". (هآرتـس، ٢٠٢١).

باتـت قـوات الأمـن الإسرائيليـة تسـمح للمسـتوطنين مؤخـرًا بالتعـدي عـلى مصـدر الـرزق الوحيـد لهـؤلاء الرعـاة الأصلانيّـين خدمًـة لمصلحـة إسرائيـل الاسـتيطانية الكـبرى بفـرض حقائـق جديـدة عـلى الأرض مـن خـلال تعزيـز علاقتهـم بالمسـتوطنين ومسـاندتهم في العمليـة الاسـتيطانية. يدفـع هـذا التعـدي إلى بـث الذعـر والخوف في نفـوس الرعـاة الأصلانيّـين، ويفـرض عليهـم حـصر عمليـة الرعـي في المناطـق المحيطـة بتجمعاتهـم فقـط مـن خـلال التهديـد المسـتمر وتسـييج المناطـق الرعويـة؛ ممـا يضفـي أعبـاء اقتصاديـة وزيـادة في النفقـات المترتبـة عـلى الرعـاة لـشراء أعـلاف لتغذيـة قطعـان ماشـيتهم بعدمـا منعـوا من الخـروج للرعـي في أماكـن حرجيـة ورعويـة تعتـبر مثاليـة للرعـي، حيـث تُـزرع بأصنـاف بعليـة كالحنطـة والشـعير والعشـب الوفـير والـذرة؛ إضافـة إلى الأعبـاء المترتبـة عليهـم فعليًـا مـن قبـل في مـا يتعلـق بـشراء الميـاه، سـواء تلـك المنقولـة بالأنابيـب أم الصهاريـج. وفي المقابـل يتجـول شـبيبة الاسـتيطان بقطعـان أغنامهـم وأبقارهـم في أراضي المراعـي الفلسـطينية يسـتفيدون منهـا ومـن آبـار الميـاه والينابيـع المتواجـدة في منطقـة الأغـوار، والتـي تعتـبر المصـدر الوحيـد والأكـبر مـن حيـث آليـات تعزيـز الصمـود والتكييـف للتجمعـات السـكانية الفلسـطينية غـير المرتبطـة بشـبكة الميـاه. (OCHA 2012,1).

في مقابلـة أجريـت مـع الراعـي الفلسـطيني أشرف منصـور أبـو عامـر يـوم ٧ نيسـان ٢٠٢١ حـول أهـم المضايقـات التـي يتعـرض لهـا أثنـاء خروجـه لرعـي قطيع ماشـيته في خربـة الفارسـية المحاطـة بسـت مسـتوطنات وبـؤر اسـتيطانية جديـدة والمسـتهدفة بالتهجـير مـن خـلال التخطيـط لضـم كل المسـتوطنات والبـؤر في مدينـة اسـتيطانية واحـدة، يقـول أبـو عامـر:" في أغلـب المـرات التـي أخـرج بهـا لرعـي أغنامـي في المناطـق المرتفعـة القريبـة مـن الخربـة التـي أسـكن بهـا، يقـوم المسـتوطنون بـترك كلابهـم المدربـة جيـدًا لتهاجم قطيـع أغنامـي وتعتدي عليهـا وتلحـق الأذى بهـا، فقبـل أيـام قـام أحد المسـتوطنين بفعـل ذلـك ممـا أدى إلى تفريـق قطيـع أغنامـي عـن بعضها البعـض ولـم أسـتطع تجميعهـا كلهـا مـرة أخـرى، وقـام شـبيبة المسـتوطنين بسرقـة مـا اسـتطاعوا سرقتـه مـن الأغنـام، ومـن ثـم ملاحقتـي إلى بـاب خيمتـي".

وفي مقابلـة أخـرى أجريـت في اليـوم نفسـه مـع الراعـي الفلسـطيني برهـان حسـين بشـارات مـن خلـة مكحـول حـول المنهجيـة التـي بـات يتعامـل بهـا المسـتوطن مـع الراعـي الفلسـطيني في أرضـه قولـه: "عندمـا أسرح بقطيـع أغنامـي، اصطـدم بشـبيبة المسـتوطنين الذيـن يقومـون برعـي قطعـان أغنامهـم وأبقارهـم وبرفقتهـم عـدد مـن الـكلاب، مـن قبـل لـم يكـن لديهـم قطعـان مـن الماشـية ولـم يكـن باسـتطاعتهم إبعـادي وطـردي عـن قمـم التـلال أثنـاء الرعـي، بينمـا اليـوم يرعـون قطعانهـم في كل مـكان والجيـش تحـت أي طـارئ يأتـي إليهـم مسرعًـا، كمـا يقومـون بوضـع السـياج حـول الأراضي ولا يسـمحون لي بدخولهـا بادعـاء أنهـا ملكهـم الخـاص".

وأضـاف بشـارات بأنـه بـات يفكـر مليًـاً كل يـوم قبل أن يقـرر الخـروج لرعـي قطيـع ماشـيته، خوفًـا مـن التصادم المبـاشر مـع المسـتوطنين عـلى قمـم الجبـال والاعتـداء عليـه وإلحـاق الأذى بـه أو بقطيعـه سـواء ماديًـا أو جسـديًا. عـدا عـن التضييـق الـذي يعانـي منـه في مضربـه بخلـة مكحـول عـلى صعيـد تقييـد البنـاء وحرمانـه مـن التـزود بالميـاه والكهربـاء التـي تبعـد عنـه مسـافات قليلـة وتسـلك خطوطهـا مـن أراضيـه ويمنـع مـن اسـتخدامها، واسـتلامه إخطـارات بالهـدم بشـكل متواصـل، وبالمقابـل تقـدم كل التسـهيلات للمسـتوطنين لإقامـة بؤرهـم الاسـتيطانية في المناطـق التـي يحددونهـا مسـبقًا مـن خـلال عمـل مسـح لـلأراضي ويعتبرونهـا مناسـبة لنمـوذج الاسـتيطان الرعوي.

وأكـد بشـارات عـلى أنـه مـع بدايـة عـام ٢٠١٦ أنشـأ المسـتوطن "اوري" بؤرتـه الاسـتيطانية عـلى تلـة مرتفعة في خربـة السـويدة، وأصبـح اليـوم بحوزتـه أكثـر مـن أربعمئة رأس مـن الأبقـار والأغنـام وتتوفـر لديـه الميـاه مـن عـلى بعـد ثلاثـة كيلـو مـتر تصلـه مـن منطقـة حمـدات وتسـلك طريقـا مـن بـين الجبـال، إلا أنـه قبـل أن يسـتوطن أوري كانـت المنطقـة مصنفـة عـلى أنهـا محميـة طبيعيـة، وإذا مـا تـم إلقـاء القبـض عـلى أحـد الرعـاة الفلسـطينيين ضمـن حـدود المنطقـة يتـم مخالفتـه بمـا قيمتـه ٢٠٠٠ شـيكل. واليـوم البـؤرة التـي بـدأ منهـا أوري اسـتيطانه هـي مسـتوطنة مجهـزة بالكامـل يقيـم بهـا هـو وبضـع مسـتوطنين مـن شـبيبة التـلال؛ وهنـاك زيـارات متكـررة لبؤرتـه مـن قبـل المسـتوطنين باعتبارهـا حالـة اسـتيطانية ناجحـة تتوفـر فيهـا كل مقومـات الحيـاة، ويتـم دعمـه من قبـل مجلـس المسـتوطنين "بكعـوت هـيردن" بمـواد البنـاء

لتهيئة بركسات تتسع للمزيد من أعداد الماشية إضافة إلى توفير الأعلاف والمشارب الخاصة بالماشية وتغطية كل ما يلزم لتسهيل إدارة أوري لثروته الحيوانية.

كما يعاني أهالي المنطقة من مضايقات أخرى تتلاءم مع تطور نموذج الاستيطان وتتماشى مع كونها تُضيق الخناق على سبل العيش، فمثلًا: أكد القائم بأعمال محافظة طوباس والأغوار الشمالية أحمد الأسعد: "أن سلطات الاحتلال هدمت بيوت ٢٢ عائلة تقطن في خربة الرأس الأحمر شمال طوباس، وهي بيوت بدائية مصنوعة من الصفيح والخيش التي يستخدم أهالي المنطقة جزءًا منها لتربية المواشي."(سلامة ٢٠١٧، ٦٧). وما زال هذا الأسلوب العدائي مستمرًا.

كما تعرض الرعاة إلى هدم بركساتهم التي يستعملونها لتربية الماشية والمبنية من الزينكو والحديد، ففي العام ٢٠١٣ بلغ عدد البركسات التي هدمها الاحتلال في خربة خلة مكحول ستة بركسات. تأتي هذه العملية الواسعة والمستمرة من الهدم التي يتعرض لها السكان الأصلانيون تحت ذرائع مختلفة، منها البناء دون ترخيص، أو تواجد المواطنين في مناطق عسكرية مغلقة حسب الادعاء الإسرائيلي. من المواطنين الذين هدمت ممتلكاتهم وحظائرهم التي يستخدمونها في تربية ماشيتهم المواطن خلف سالم وأحمد وبسام عبد الله بني عودة، والمقامة بالفعل على مساحة صغيرة من الأرض لا تتجاوز ٢٠٠ متر مربع ومحاطة بسياج حديدي. (مؤسسة الحق٢٠١٣).

بحسب التقرير الذي صدر في العام ٢٠٢٠عن مؤسسة "أوتشا-OCHA " التابعة للأمم المتحدة وثقت ما نسبته ٧٥٪ من عمليات الهدم التي تعرض لها مجتمع رعاة الأغنام في منطقة الأغوار الفلسطينية بدءًا من العام ٢٠٠٩. يتم استهداف المنطقة عبر الهدم كأساس عقابي للسكان لعدم توفر تصاريح بناء لديهم وهو أمر شبه مستحيل الحصول عليه خاصة في مناطق "ج".

تم مع نهاية العام ٢٠٢٠ استهداف نحو ٥٠٪ من التجمعات الرعوية في منطقة الأغوار الشمالية خاصة منطقة حمصة الفوقا، وتم هدم أكثر من ألف منشأة للمواطنين الفلسطينيين الذين يقيمون في منطقة الأغوار، حيث تم هدم بركساتهم وخيمهم ومنشآت ثروتهم الحيوانية ومنشآت زراعية مختلفة وآبار تجميع المياه، وذلك بالتحالف مع ما يسمى بالإدارة المدنية والتنظيم الإسرائيلي، وبالتحالف مع سلطة الطبيعية الإسرائيلية التي أغلقت آلاف الدونمات ضمن تصنيفها أراضي محميات طبيعية وسمحت للمستوطنين بالبناء عليها، إضافة إلى إغلاق جيش الاحتلال ٣٠٪ من مناطق الأغوار الفلسطينية، بحجة أن هذه المناطق مخصصة كمناطق مغلقة للتدريب العسكري الإسرائيلي "مناطق إطلاق نار"؛ ويتم الهدم إما عن طريق إصدار أوامر عسكرية، وإما بدون سابق انذار، وفي المقابل هناك ما لا يقل عن عشر بؤر استيطانية إسرائيلية غير مصرح بها تقع إما بشكل جزئي أو كلي في "مناطق إطلاق النار". (OCHA,2-1).

وكان من أحدث هذه الاعتداءات ما تعرضت له عائلة الراعي "لؤي دراغمة" يوم ٢٧ كانون الثاني ٢٠٢١، حيث أحرق المستوطنون خيمته بكل ما تحتويه من متاع كان قد نصبها في منطقة السّويده.

الخاتمة

ختامًا، يتضح مما تقدم أن جماعات المستوطنين المتطرفين الذين يحظون بدعم وحماية سلطات الاحتلال والمجالس الإقليمية للمستوطنات والوزارات الحكومية الإسرائيلية، يسعون ومنذ وقت مبكر جدًا لتحقيق هدف أساسي، يتمثل في السيطرة والاستيلاء على أكبر قدر ممكن من الأرض الفلسطينية خدمة لأغراض استعمارية محضة، وتم التركيز في الورقة على توجه الأنظار الإسرائيلية إلى منطقة الأغوار الفلسطينية لأهمية المنطقة استراتيجيًا في المشروع الاستعماري، وعبر استحداث نماذج استيطانية مختلفة بشكل متتال بغرض تفريغ الأرض من سكانها الفلسطينيين الأصلانيين وتضييق الخناق عليهم وعلى مصادر رزقهم بممارسة تحرشات عنيفة طالت الأرض الفلسطينية ومن عليها.

يأتي نموذج الاستيطان الرعوي كواحد من السبل المتطورة في تسخير تنظيم "شبيبة التلال" أنفسهم لما يتلاءم مع البيئة الجغرافية المتاحة واتباعه كنمط حياة، من أجل التوسع الاستيطاني النابع من الأيديولوجيا والممارسة الصهيونية وبالعودة التاريخ القديم والبعد الديني، وصولًا إلى ضم منطقة الأغوار الفلسطينية إلى السيادة الإسرائيلية، وتعزيز الادعاء بحق ملكية المستوطن على الأرض الفلسطينية ودحض فكرة وجود الفلسطيني الأصلاني على الحيز المكاني وتأصيل الذات الصهيونية الاستعمارية؛ وتحطيم كل الفرص والإمكانيات المتاحة لتحقيق حل للصراع وفق مبدأ إقامة دولة فلسطينية مستقلة على حدود أراضي ١٩٦٧.

قائمة المراجع

مراجع باللغة العربية

- أبـــو عريـــش، أنـــس. رســـالة ماجســـتير: "**خطـــاب الأصلانيـــة في الفكـــر الصهيونـــي: مـــن هيرتســـل إلى نتنياهـــو**"، جامعـــة بيرزيـــت، ٢٠١٨ .
- جـــاد اللـــه، مـــراد. "عنـــف المســـتوطنين: وبـــاء فـــوق وبـــاء كورونـــا"، مدونـــات، **مؤسســـة الدراســـات الفلســـطينية**: ٢٠ نيســـان ٢٠٢٠.
- جمـــال، أمـــل. "الاســـتعمار الاســـتيطاني في فلســـطين: مصـــادر قـــوة المســـتوطنين اليهـــود في الأراضي الفلســـطينية المحتلـــة منـــذ ســـنة ١٩٦٧"، مؤسســـة الدراســـات الفلســـطينية، عـــدد ٩١ (٢٠١٢)، ص ٨٤-١٠٥.
- حبـــاس، وليـــد. "مفهـــوم الاســـتعمار الاســـتيطاني: نحـــو إطـــار نظـــري جديـــد"، **قضايـــا إسرائيليـــة** مجلـــد ١٧، عـــدد ٦٦ (٢٠١٧)، ص ١١٤-١٢٧.
- حبـــاس، وليـــد. "مـــاذا وراء شروع "الكـــين كيمـــت" بـــشراء أراضٍ مـــن الفلســـطينيين في الضفـــة؟ وكيـــف عـــرض "أطلـــس تومـــان" خرائـــط الـــصراع؟"، مـــدار: **المشـــهد الإسرائيـــلي**، ٢٠٢١. https://bit.ly/2PXBnri
- راز كركوتســـكين، أمنـــون. "المنفـــى، التاريـــخ، وقومنـــة الذاكـــرة اليهوديـــة: تأمـــلات في "العـــودة إلى التاريـــخ" كفكـــرة صهيونيـــة"، قضايـــا إسرائيليـــة مجلـــد ١٤، عـــدد٥٤ (٢٠١٤)، ص ٧٥-٩٧.
- الـــرزي، عـــز الديـــن. **الاســـتيلاء عـــلى الأرض والاســـتيطان ومضايقـــة المزارعـــين في منطقـــة طوبـــاس والأغـــوار الشـــمالية**. رام الله: الحـــق، ١٩٩٧.
- زريـــق، رائـــف. "إسرائيـــل: خلفيـــة أيديولوجيـــة وتاريخيـــة" ضمـــن منـــير فخـــر الديـــن (محـــرر)، دليـــل **اسرائيـــل العـــام ٢٠٢٠**، بـــيروت: مؤسســـة الدراســـات الفلســـطينية، ٢٠٢٠، ص١-٧٣.
- ســـلامة، عبـــد الغنـــي. "الاســـتيطان والتهجـــير القـــسري لســـكان الأغـــوار والســـفوح الشرقيـــة"، **قضايـــا إسرائيليـــة** مجلـــد١٧، عـــدد٦٨ (٢٠١٧)، ص٦٢-ص٧٢.
- منصـــور، جونـــي. اسرائيـــل والاســـتيطان: **الثابـــت والمتحـــول في مواقـــف الحكومـــات والأحـــزاب والـــرأي العـــام ١٩٦٧- ٢٠١٣**. رام الله: المركـــز الفلســـطيني للدراســـات الإسرائيليـــة- مـــدار، ٢٠١٤.
- مـــدار- المركـــز الفلســـطيني للدراســـات الإسرائيليـــة، موســـوعة المصطلحـــات الإلكترونيـــة. https://www.madarcenter.org/%D9%85%D9%88%D8%B3%D9%88%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%84%D8%AD%D8%A7%D8%AA/1366-%D8%BA%D9%88%D8%B4-%D8%A7%D9%8A%D9%85%D9%88%D9%86%D9%8A%D9%85
- منصـــور، عصمـــت. "إعـــادة إنتـــاج جماعـــات "شـــبيبة التـــلال"!، المركـــز الفلســـطيني للدراســـات الإسرائيليـــة "مـــدار": تقاريـــر، وثائـــق، تغطيـــات خاصـــة. ٤ كانـــون الثانـــي ٢٠٢١. https://bit.ly/3gCtAZZ
- النابلـــسي، رازي. **الصهيونيـــة والاســـتيطان: اســـتراتيجيات الســـيطرة عـــلى الأرض وإنتـــاج المعـــازل**. رام اللـــه: المركـــز الفلســـطيني لأبحـــاث السياســـات والدراســـات الاســـتراتيجية-مســـارات،٢٠١٧.
- هرتســـل، ثيـــودور. دولـــة اليهـــود: محاولـــة لإيجـــاد حـــل حديـــث للمســـألة اليهوديـــة، ترجمـــة: مؤسســـة الأبحـــاث العربيـــة. بـــيروت: مؤسســـة الأبحـــاث العربيـــة، ١٩٩٧.

مراجع باللغة الانجليزية

- Lindqvist, Felicia. "Who are the Hilltop Youth? Perception of self vs. Perception of researchers". Bachelor Thesis, Sweden: Linnaeus University, 2020. https://bit.ly/3isi2La

مقالات صحافية باللغة العبرية

- شـــيزاف، هاجـــار. "أمـــين عـــام أماناه: ســـنبني عـــشر مـــزارع أخـــرى في الضفـــة هـــذا العـــام فهـــي أكثـــر كفـــاءة مـــن المســـتوطنات"، موقـــع هآرتـــس. ٢٢ شـــباط ٢٠٢١. https://bit.ly/3vZw1fq
- شـــيزاف، هاجـــار. " مجلـــس غـــوش عتصيـــون يمـــول البـــؤر الاســـتيطانية غـــير القانونيـــة في أراضيـــه بمبلغ ١,٦ مليـــون شـــيكل مـــن خـــلال اتفاقيـــة"، موقـــع هآرتـــس. ١٥ كانـــون الأول ٢٠٢٠. https://bit.ly/3wYIMai

أخبار وتقارير

- قوانين مطروحة. "مشروع قانون يلغي "الإدارة المدنية" ونقل المهمات للحكومة (قانون ضم)، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار": راصد القوانين والتشريعات. ١٧ أيار ٢٠٢١ https://bit.ly/2S63lm8

- تقرير صادر عن مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة "بتسيلم"، "منطقة السويده، الأغوار: مستوطنون يحرقون خيمة راعي أغنام"،٢٧كانون الثاني٢٠٢١.https://bit.ly/3gapxoF

- (تقرير صادر عن مؤسسة "أوتشا- OCHA" التابعة لمكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية في الأراضي الفلسطينية المحتلة. "WEST BANK. DEMOLITIONS AND .DISPLACEMENT: AN OVERVIEW" ٣٠ تشرين الثاني ٢٠٢٠. https://bit.ly/2TN78FL

- تقرير صادر عن مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة "بتسيلم"، "مجريات السلب، نسخة الأغوار الشمالية: بؤر الاستيطان الجديدة كجزء من عملية الاستيلاء على الأراضي." ١٧ كانون الثاني ٢٠١٨. https://bit.ly/2Pqff9h

- تقرير خاص صادر عن المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار"، "تجديد عمل "شعبة الاستيطان" واستئناف ضخ الأموال "القانونية" لها!"، ١٠ تشرين الأول٢٠١٦.https://bit.ly/3v9DK9m

- تقرير صادر عن مؤسسة الحق القانون من أجل الانسان، "تقرير حول هدم بركسات وخيم سكنية وحظائر لتربية الأغنام في خربة مكحول في الأغوار الشمالية." ٣١ آذار ٢٠١٣ https://bit.ly/3u9Z0f9

- (تقرير خاص صادر عن مؤسسة "أوتشا- OCHA" التابعة لمكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية في الأراضي الفلسطينية المحتلة. "كيف تحدث عملية السلب: التأثير الإنساني لاستيلاء المستوطنين الإسرائيليين على مياه الينابيع الفلسطينية." ١٩ آذار ٢٠١٢.https://bit.ly/3g33XSQ

- الرجوب، عوض. "البؤر الاستيطانية تستشري بالضفة". ٢٧ شباط ٢٠١٢. الجزيرة نت. https://bit.ly/3iwy2vi.

* "البؤرة الاستيطانية" حسب تعريف منظمة بتسيلم الحقوقية الإسرائيلية: "مستوطنات لم يتم الاعتراف بها بصورة رسمية رغم إقامتها بمساعدة من السلطات".

مقابلات

- عارف دراغمة، مقابلة شخصية أجراها الباحث، طوباس- عين البيضاء، ٢٠ آذار ٢٠٢١.

- عارف دراغمة، مقابلة شخصية أجراها الباحث، تياسير- طوباس، ٤ نيسان ٢٠٢١.

- برهان حسين بشارات، مقابلة شخصية أجراها الباحث، الأغوار الشمالية- خربة الفارسية، ٧ نيسان ٢٠٢١.

- أشرف منصور أبو عامر، مقابلة شخصية أجراها الباحث، الأغوار الشمالية- خربة خلة مكحول، ٧ نيسان ٢٠٢١.

- خالد عبد الرازق، مقابلة شخصية أجراها الباحث، طوباس، ٢ حزيران ٢٠٢١.